معرض جنان مكي وفتح الله زمرود: "آثار مادية" أكلها الصدأ

بيروت – "آثار مادية" هو عنوان المعرض الذي جمع الفنانة اللبنانية جنان مكي باشو والفنان التشكيلي فتح الله زمرود (في "غاليري أيام" حتى 31 أيار المقبل).

فكرة تنظيم هذا المعرض وُضعت، من خلال هذين الفنانين، تقاربٌ في المضامين يدور حول تيمة الحرب والتهجير.. على الرغم من التباعد الزمني واختلاف مستوى التجربة الفنية بينهما على السواء.

اشتهرت جنان مكي باشو بغزارة فنية دلّت عن التصاق عفوي وذهني بالحرب اللبنانية.. فصهرها بتجارب شخصية، رافعة لواء أعمالها العابرة للسنين إلى قراءة مفتوحة على كل الأزمان، التأويلات والدلالات.

هي فنانة لم تترك أداة أو وسيلة فنية تشكيلية إلا واختبرت إمكانياتها التعبيرية. كما أن حياتها الفنية، لمن عرفها عن كثب، قائمة على إصرار "شبه عقائدي" على تنويع الإختبارات و"المغامرات" الفنية واكتشافها.

إشتغلت مكي بالسيراميك.. الطبع على الحرير، الكولاج بالورق، الطين، الرسم، التخطيط، الحفر.. والنحت بالمواد الصلبة تماماً كالحديد والحجر، فالمواد الأقل قساوة أو تماسكاً كالجصّ والمعجون.

بمكان آخر، رسمت بالأكريليك والألوان الزيتية والمائية والميكست ميديا، ألخ. كما التقطت مجموعة باهرة من الصور الفوتوغرافية، التقطتها لمن ولما أحبت وافتقدت.

الفنان فتح الله زمرود (من مواليد بيروت العام 1968، درس العمارة الداخلية في الجامعة الأميركية). على ما يبدو، أرادت لوحاته أن تناجي بريشتها آثار الحرب السورية.. بشكل خاص الدمار الحاصل. كما أن تصوّر مأساة التهجير وجحيم "المخيمات المنصوبة" على تخوم هذه الحرب التي تنشد إفراغ الأرض من سكانها.

يستلهم فتح الله زمرود لوحاته المعروضة من "فيضان" الصور الفوتوغرافية على الشاشات وعلى صفحات مواقع التواصل الإجتماعي.

يغلب اللون الرمادي على أعماله. ليس باللون العادي.. فذريعة وجوده متأتية من حال الدمار الذي يمثل. "يميزه" (اللون الرمادي) زرقة "قدرية" غريبة!

زرقة قدرية تشي بالحياة الكامنة في صمت هذا الدمار. زرقة تسوّر الحياة (لتحفظها) ... تمدّ خيوطها كهروب أشعة من الموت "المؤقت" في إطباقه على "المكان".

ولعل تلك السمة هي الأكثر وضوحاً في لوحة حملت عنواناً إشكالياً: "من دون عنوان"! في تصويرها لخيمتين منصهرتين شفافتين تغشاهما هذه الزرقة العجائبية.

يتميز بنيانه الفنيّ بالبراعة التشكيلية. يجمع في لوحته بين الخطوط والتراكيب الهندسية المتصدعة بإتقان. لكن جلّ ما يميز هذه الأعمال جميعها هي حالة الفرار من الموت المتجسدة باللون الأزرق المتميز (وقد استحال ترياقاً). إنها سمة الهدوء المتعالي على الموت في صلب جدلية أعماله.

في الجزء الثاني من الصالة (المعرض)، نرى مجسمات لـ"برج المرّ" في دلالات عن واقع الحرب اللبنانية الوحشي. "برج المرّ" هو ما اشتغلت عليه الفنانة جنان مكي باشو... أرادته لتختصر فيه كل صور القتل والخيانة والتهجير والكذب والمرارة .

عشرة "أبراج مرّ" مصنوعة من الفولاذ أو الصهر. عشرة أبراج مختلفة الأحجام تنتصب في وسط الصالة لتشهد على الموت "الذي مرّ من هنا". "دالات" عشر في صيغ عشر على الأذى. شواهد مرحلة إنتحار جماعي ارتكبه الأخوة الأعداء في حق بعضهم البعض.

عملٌ تطلب الى جانب الدقة الفنية العالية جهداً جسدياً مرهقاً ومتطلباً.

ولعل أبلغ ما يمكن قوله عن هذه "الأبراج– الشهود" الأحياء.. هو ما قالته الفنانة في هذه الكلمات التي قدّمت لأعمالها:

"الحديد مادة فيها برودة الموت، إنما صلابة الإرادة في تطويعه.. هي مجازفة شيقة وممتعة كاللعب بالنار. في صلب المادة افتتان بالإنصهار وبشرارت النار المتطايرة كالرذاذ؛ كتلك الومضات التي تخرق السماء، من برق ورعد، أو من التراشق بالقذائف والطلقات النارية العشوائية التي وعينا عليها باكراً في المدينة".

تتابع: "ليس البرج ذو الثقوب الكثيرة هو الغاية. هدفه تمكين المتلقي من رؤية مدينة ظلت شامخة ولو أكلها الصدأ".

استعادت الفنانة البرج بأحجام وبمقاييس مختلفة. هو حلم بالعودة أربعين سنة إلى الوراء؛ الى تاريخ تشيد هذا البرج المؤلف من أربعين طبقة يطلّون عليك. وقتها، ما لبثت أن سكنته الشياطين المدججة بالأقنعة والسلاح القابض

على الأرواح.

هذا التكرار– اللعب بالنار– استعملته هي للتحايل على البرج فتطويعه لترويضه في الذاكرة القابعة حتى تنفك رموزه...لمحو آلام ذكرياته.

برج المّر المذاب، علامة فارقة في بيروت.. كي تتذكّر وتعتبر.

ميموزا العراوي

2/05/2014